Arida, Nasib P.4 Meraat al Ghaib 6/8/14 "Worrying Conversation"

حديث ذو شجون

(لنسيب افندي عريضه صاحب مجلة الفنون)

سافت الاقدار الدكتور صابر الى نيويورك ولم يقصدها للكسب والارتزاق كبقية المهاجرين بل دفعه اليها حب الاطلاع على احوال اخوانه وظن ان في اميركا « اندلساً » ثانية للروح العربي فقال في نفسه . ما ضرني لو اختصرت اقامتي في اوربا وجئت اميركا فارى ما فيها من العظمة والجمال الرائع واسبر غور مستقبل اخواتي السوريين واحيي فيهم رجالاً سيبنون لنا قرطاجنة جديدة في قلب جمهورية حرة

على انه لم يكد يطأ اليابسة التي طمح اليها كولمبس حتى تهافت الى نزله اصدقاؤه من رجال الادب واخذ كل منهم يلقي عليه من السؤالات الاقاً للاستفهام عن احوال وطنهم — ذلك المحبوب رغم تعاسة الحياة فيه — فتنفس الدكتور الصعداء وقال في نفسه . كنت اظن انهم قد استقلوا روحياً عن تلك الارض التي ندعوها وطناً وكنت اوءمل ان لا اسمع منهم سؤالاً عنها ولكن الامر على غير ما ظننت . فهم لم يرتقوا ولن تكون لهم قوة بناة قرطاجنة . وكل ما كنت اقرأه في جرائدهم تمويه ومكابرة .

ونام الدكتور ليلته الاولى وهو يهذر بسوريا المهانة محط رحال الفاتحين من كل الامم ويجرب ان يبني ما تداعى في ذلك اليوم من جسر كان قد بناه في مخيلته موصلاً بين فينيقيا القديمة وقرطاجنة الجديدة

وفي اليوم التالي اتى لزيارته صديق صباه الدكتور مالك وهو رئيس لجمعية الارتقاء السوري فقال له في اثناء الحديث

— اسمع يا صديق . اننا كنا مولعون باخبار الارتقاء عندكم في سوريا ونود لو نسمع منك مقالاً طويلاً في هذا الباب . وعندنا الليلة حفلة خطابية حافلة فارجو منك اكراماً للوطن ان تسحنا خطاباً فيها .

فابتسم حدقا الدكتور صابر وحدّق بصديقه وقال .

— تريدون خطاباً . ومن يريد ذلك ؟ او بالحري من يهمه ذلك ؟ اتدري يا صاح ما يقوله جمهور الحضور حين يسمعون خطاباً ؟ انهم يقولون في سرهم للخطيب « ويلك يا ابله متى تنتهي من هذا الخطاب الثقيل فلقد تعبنا من سماعه . اذهب الى جهنم انت وخطابك » . اما الخطيب فان لم يكن ابلة يتململ في سره ويقول لنفسه « مالي ولهولاء الحمقى . انهم لا يسمعون ولا يفقهون ما اقوله . » وهكذا ايها الصديق كل الحفلات الخطابية . انها مضجرة قاتلة لا لزوم لها . ولكني اكراماً لك لا اتأخر عن تسميم ما تريد . انما في اي المواضيع تريد خطابي ان يكون ؟

— لا بأس ان يكون في « الاصلاح »

— الاصلاح ؟ واي اصلاح تعني ؟ اصلاح القوانين الجائرة ام اصلاح الطرق المتداعية ام اصلاح الموظفين عبيد الرشى ام اصلاح الاراضي الزراعية التي تكاد تتحول الى قفار من جراء نضوب العدل وقحط الامن ؟

— لا لا . انما اعني الاصلاح الذي تلتمسه مومغراً من الحكومة بعد مؤتمر باريس .

فعبس الدكتور صابر وصاح

— اهذا ما تريد جعله موضوعاً لخطابي ؟ ولكن كيف اشرح واتكلم عن شيء لم يوجد وان يتم او تداعى . فالاصلاح هو تحسين في حالة شيء او امر قائم التوى او تداعى . فالاصلاح اذن عمل . عمل . لا كلام او مواعيد . ولو كنت

— لا . ليس من مسئولية تهبني هنا ولكن كيف اتكلم عن الحكومة ولا حكومة لنا ... اعني لا حكومة حقيقية عندنا . الحكومة تشتق من الحكمة . أليس كذلك ؟ ولكني وحقك لم اجد شيئاً من الحكمة في كل اعمال ما ندعوها حكومة . الحكومة عليها ان تسير بالشعب وبالبلاد الى كعبة الارتقاء والحق في طرق الصواب ولكن حكومتنا اشبه بحوذي قد قرن خيله الى عربة ثقيلة يستحيل جرها وجلس في منصته وقرع سوطه ملهباً به ظهور الخيل لا قصد ان تمشي بل لكي لا تحرك اذنابها وترفع رؤوسها . فهو يبقى واياها والعربة حيث هم الى ما شاء الله

— اذن تكلم عن المبعوثان . في علمي عندكم مبعوثان ...

— لا اعلم . ربما كان عندنا ذلك . ولكن الحقيقة ان ليس عندنا شيء من هذا ... وما هو المبعوثان ؟ انه مجلس الامة . مجلس التشريع . أليس كذلك ؟ ولكن بربك قل لي — اجبني اية شرائع سنها المبعوثان ؟ يلتئم اعضاؤه شهرين او ثلاثة في السنة فيتصارخون ويتحاوزون في مسائل تافهة يليهم بها من لهم الامر . ثم يتفرقون الى بيوتهم للعطلة ولم ينجزوا شيئاً . وان انجزوا امراً اتفقوا عليه عرضاً يلغيه مجلس الاعيان او ارادة السلطان فيمسي في خبر كان .

— حسناً حسناً . دع المبعوثان الى جانب واخطب فينا عن «الشعب السوري» في سوريا .

— فهل درك من منتور . ولكن من تعني بالشعب السوري ؟ اتعني سكان المدن كبيروت والشام وحلب وغيرها ؟ معاذ الله ان تكون تعنيهم واحذر من ان تتكلم بمثل هذا امامهم فانهم لا يعدون انفسهم شعباً ... انهم ليسوا بمحتقرين الى درجة ان يكونوا شعباً . فالشعب عندهم هو الفلاحون المتفرقون في القرى يفلحون ويزرعون ويحصدون . هذا هو الشعب السوري الحقيقي . وان سألتني ان اتكلم عنه فاقول لك اني لسوء الحظ لا اعلم شيئاً من اخلاقه وعاداته واموره ... اراك تعجب لذلك ولكن اسمح لي بان اقول لك انك تستطيع ان تعرف عن حالة الشعوب الاجنبية اكثر مما تعرف عن حالة شعبنا السوري العزيز . بالامس كنت اتجول في قرنا فخطر لي ان اعرف شيئاً عن حال فلاحيها فوقفت على اول بيت مررت به في احدى القرى فحييت وطلبت شيئاً من الحليب لانعش به نفسي ثم سألت صاحب البيت عن حالة الفلاحين والمحصولات فاجابني على سؤالاتي بكل رضى وايضاح وزادني علماً عما لم اسأل . فما فُضيت من عنده الا وانا اعلم كل العلم حالة فلاحي قرنا ومحصولاتهم ومعيشتهم والاسواق التي يبيعون فيها كل نوع من غلالهم . وهكذا كل انسان سواي يستطيع ان يدرس حالة فلاحي اوربا واميركا في وقت قصير . اما عندنا في سوريا فانك ان ذهبت الى احدى القرى يهرع الجميع هاربين من امامك لمشاهدتهم اياك لابساً « افرنجي » او انهم يأتونك بعيوز تعاني وتولول طالبين منك ان تقلع ضرسها المتحوّر او يتقدم اليك احد الشيوخ ويقع على رجليك متوسلاً اليك ان تخلص ابنه من الجندية . لانهم يظنون كل من لبس بنطلوناً مأموراً من قبل الحكومة او طبيباً لبلدية القضاء . وان سألتهم كم ثوراً عندكم او كم فرساً وعنزة فهناك الطامة الكبرى . انهم يهربون من امامك هربهم من القضاء المبرم لاذ يظنونك مرسلاً من قبل الحكومة لوضع ضريبة جديدة على الماشية . وان سألتهم كم فداناً من الارض لكم واين حدودها فضع على نفسك من الموت اذ يحسبونك آتياً لضبط املاكهم من قبل الجنتلك . وهكذا ترى يا صاح اني اجهل من امور شعبي اكثر مما اجهل من امور شعوب اميركا واوربا . وقد استطيع ان اخطب في حالة الفلاح الاميركي اما حالة السوري فلا ...

المهاجرين بل دفعه اليها حب الاطلاع على احوال اخوانه وظن ان في اميركا « انفساً » ثانية للروح العربي فقال في نفسه : ما ضرني لو اختصرت اقامتي في اوربا وجئت اميركا فأرى ما فيها من العظمة والجمال الرائع واسير غير مستقبل اخواتي السوريين واحيي فيهم رجالاً سيبنون لنا قرطاجنة جديدة في قلب جمهورية حرة

على انه لم يكد يطأ اليابسة التي طمح اليها كولمبس حتى تهافت الى نزله اصدقاؤه من رجال الادب واخذ كل منهم يلقي عليه من السؤالات الاتاً للاستفهام عن احوال وطنهم — ذلك المحبوب رغم تعاسة الحياة فيه — فتنفس الدكتور الصعداء وقال في نفسه : كنت اظن انهم قد استقلوا روحياً عن تلك الارض التي تدعوها وطناً وكنت اؤمل ان لا اسمع منهم سؤالاً عنها ولكن الامر على غير ما ظننت. فهم لم يرتقوا وان تكون لهم قوة بناة قرطاجنة . وكل ما كنت اقرأه في جرائدهم تمويه ومكابرة .

ونام الدكتور ليلته الاولى وهو يهذر بسوريا المهانة محط رحال الفاتحين من كل الامم ويجرب ان يبني ما تداعى في ذلك اليوم من جسر كان قد بناه في مخيلته موصل بين قينيقيا القديمة وقرطاجنة الجديدة

وفي اليوم التالي اتى لزيارته صديق صباه الدكتور مالك وهو رئيس لجمعية الارتقاء السوري فقال له في اثناء الحديث

— اسمع يا صديق : انا كنا مولعون باخبار الارتقاء عندكم في سوريا ونود لو تسمع منك مقالاً طويلاً في هذا الباب . وعندنا الليلة حفلة خطابية حافلة فارجو منك اكراماً للوطن ان تسحنا خطاباً فيها .

فابتسم صاحبنا الدكتور صابر وحدق بصديقه وقال :

— تريدون خطاباً . ومن يريد ذلك ؟ او بالحري من يهمه ذلك ؟ اتدري يا صاح ما يقوله جمهور الحضور حين يسمعون خطاباً ؟ انهم يقولون في سرهم للخطيب « ويلك يا ابله متى تنتهي من هذا الخطاب الثقيل فلقد تعبنا من سماعه . اذهب الى جهنم انت وخطابك » . اما الخطيب فان لم يكن ابله يتململ في سره ويقول لنفسه « مالي ولهؤلاء الحمقى . انهم لا يسمعون ولا يفقهون ما اقوله .» وهكذا ايها الصديق كل الحفلات الخطابية . انها مضجرة قاتلة لا لزوم لها . ولكني اكراماً لك لا اتأخر عن تسميم ما تريد . انما في اي المواضيع تريد خطابي ان يكون ؟

— لا بأس ان يكون في « الاصلاح »

— الاصلاح ؟ واي اصلاح تعني ؟ اصلاح القوانين الجائرة ام اصلاح الطرق الخداعة ام اصلاح الموظفين عبيد الرشى ام اصلاح الاراضي الزراعية التي تكاد تتحول الى قفار من جراء نضوب العدل وفقد الامن ؟

— لا لا . انما اعني الاصلاح الذي تنشده مؤخراً من الحكومة بعد مؤتمر باريس .

فعبس الدكتور صابر وصاح

— اهذا ما تريد جعله موضوعاً لخطابي ؟ ولكن كيف اشرح واتكلم عن شيء لم يوجد ولن يتم او تداعى . فالاصلاح هو تحسين في حالة شيء او امر قائم التوى او تداعى . فالاصلاح اذن عمل . فعل . لا كلام او مواعيد . ولو كنت بارعاً في علم المنطق لشرحت لك بزيادة عن هذا الاصلاح هو سقطات لا حقائق . بربك دعني من هذا الموضوع فانه يغلق دماغي ويقودني الى الجنون

— اذن ما قولك في خطاب عن الحكومة ؟ او انك تخشى المسئولية عند عودتك الى سوريا ....

ولكن حكومتنا اشبه بعنوذي قد قرن خيله الى عربة ثقيلة يستحيل جرها وجلس في منصته وقرع سوطه ملوحاً به ظهور الخيل لا قصد ان تمشي بل لكي لا تحرك اذنابها وترفع رؤوسها . فهو يبقى واياها والعربة حيث هم الى ما شاء الله

— اذن تكلم عن المبعوثان . في علمي عندكم مبعوثان ...

— لا اعلم . ربما كان عندنا ذلك . ولكن الحقيقة ان ليس عندنا شيء من هذا ... وما هو المبعوثان ؟ انه مجلس الامة . مجلس التشريع . أليس كذلك ؟ ولكن بربك قل لي — اجبني اية شرائع سنها المبعوثان ؟ يلتئم اعضاؤه شهرين او ثلاثة في السنة فيتعارفون ويتحاورون في مسائل نافهة يلهيهم بها من لهم الامر . ثم يتفرقون الى بيوتهم للسطة ولم ينجزوا شيئاً . وان انجزوا امراً اتفقوا عليه عرضاً يلغيه مجلس الاعيان او ارادة السلطان فيمسي في خبر كان .

— حسناً حسناً . دع المبعوثان الى جانب واخطب فينا عن «الشعب السوري» في سوريا .

— فقه درك من منتور . ولكن من تعني بالشعب السوري ؟ اتعني سكان المدن كبيروت والشام وحلب وغيرها ؟ معاذ الله ان تكون تعنيهم واحذر من ان تتكلم بمثل هذا امامهم فانهم لا يعدون انفسهم شعباً ... انهم ليسوا بمحتقرين الى درجة ان يكونوا شعباً . فالشعب عندهم هو الفلاحون المتفرقون في القرى يفلحون ويزرعون ويحصدون . هذا هو الشعب السوري الحقيقي . وان سألتني ان اتكلم عنه فاقول لك اني لسوء الحظ لا اعلم شيئاً من دخائله وعاداته واموره ... اراك تعجب لذلك ولكن اسمع مني بان اقول لك انك تستطيع ان تعرف عن حالة الشعوب الاجنبية اكثر مما تعرف عن حالة شعبنا السوري العزيز . بالامس كنت اتجول في قرنسا فخطر لي ان اعرف شيئاً عن حال فلاحيها فوقفت على اول بيت مررت به في احدى القرى فحييت وطلبت شيئاً من الحليب لانعش به نفسي ثم سألت صاحب البيت عن حالة الفلاحين والمحصولات فاجابني على سؤالاتي بكل رضى وابتهاج وزادني علماً عما لم اسأل . فما مضيت من عنده الا وانا اعلم كل العلم حالة فلاحي قرنسا ومحصولاتهم ومعيشتهم والاسواق التي يبيعون فيها كل نوع من غلالهم . وهكذا كل انسان سواي يستطيع ان يدرس حالة فلاحي اوربا واميركا في وقت قصير . اما عندنا في سوريا فانك ان ذهبت الى احدى القرى يهرع الجميع حاربين من امامك لمشاهدتهم اياك لابساً « افرنجي » او انهم يأتونك بعجوز تصاحبك وتتوسل طالبين منك ان تقلع ضرسها المتخور او يتقدم اليك احد الشيوخ ويقع على رجليك متوسلاً اليك ان تخلص ابنه من الجندية . لانهم يظنون كل من لبس بنطلوناً مأموراً من قبل الحكومة او طلباً لبلدية القضاء . وان سألتهم كم ثوراً عندكم او كم فرساً وعنزة فتلك الطامة الكبرى . انهم يهربون من امامك هربهم من القضاء المبرم اذ يظنونك مرسلاً من قبل الحكومة لوضع ضريبة جديدة على الماشية . وان سألتهم كم فداناً من الارض لكم واين حدودها فخف على نفسك من الموبقات يحسبونك آتياً لضبط املاكهم من قبل المحتلك . وهكذا ترى يا صاح انني اجهل من امور شعبي اكثر مما اجهل من امور شعوب اميركا واوزبازة وقد استطيع ان اخطب في حالة الفلاح الاميركي اما حالة السوري فلا ...

فقال الدكتور مالك وهو يتنفس الصعداء .

— تكلم اذن عن ارتقاء التجارة السورية

— حاشاك ماذا قلت ! ارتقاء التجارة ؟ في سوريا ؟ بخ بخ ! ان تجارتنا يا صاح لفي اوج رفعتها ومنتهى ازدهارها .... ان كل ما انجاس ان اسميه بالتجارة

السورية هو ما نراه في احياء مدننا من دكاكين حقيرة تباع فيها الخضرة والسمانة . وازدهار هذا النوع من التجارة امر مفهوم ... كان في الدكان خابية من الدقيق فصار فيها خابيتان . نعم الازدهار والاتجار . اما بقية اصناف التجارة فلا تدعها سورية بل ادعها اوربية . ادعها اميركية . ادعها شيطانية ولا تسمها بالسورية . نعم الموضوع يستحق الافاضة فيه ...

فقاطعه رئيس الجمعية وهو يلهث ويتصبب العرق من جبينه وصدغيه وحاجبيه وذقنه .

— دع هذا الموضوع وتكلم اذن عن نهضة الادب وارتقاء الصحافة السورية

فتنهد الدكتور صابر حتى استلقى وسالت الدموع من مآقيه ثم تمالك نفسه وقال بهدوء

— نهضة الادب — وارتقاء الصحافة — امران جليلان يدلان على مبلغ الشعب من الرقي . وحبذا لو فوضتم امر القاء خطاب في هذا الموضوع الى دولتلو ناظر المعارف في الاستانة فهو ادرى بذلك . اما نهضة الادب فاننا نراها جلياً في ازدهار المكاتب وانتشار المعارف بين العموم . منذ مائة سنة لم يكن بين الشعب سوى عدد قليل يحسنون القراءة . اما الان فاكثرهم يقرأون . وفي كل بيت تقريباً مكتبة زاهرة فيها ... ديوان الزير وسيرة بني هلال والتغريبة وعنتر بن شداد وفيروزشاه والملك سيف . وعندنا الان بدء نهضة ادبية جلي فان اكثر المتنورين بدأوا يتهافتون على روايات اللص الشريف وامير الكشافين والبوليس السري وما اشبه . لا اللوم الشعب يا صاح . ولماذا اللوم حين ارى فطاحل كتابنا يعربون هذه الروايات السخيفة ومبدعي شعرائنا ينظمون قصائدهم للتدليس . تلك هي نهضتنا الادبية . اما ارتقاء صحافتنا فامر لا شك فيه . انظر حولك تر مئات والوفاً من الجرائد يومية ونصف اسبوعية واسبوعية ونصف شهرية . ولكن ماذا تنفعنا هذه الجرائد هل تقول لنا الحقيقة عن حالتنا التعسة ؟ هل تفتح عيون الشعب ليرى ما يفعل به الاستبداد ؟ هل تجسر ان تعارض اراء الحكومة ؟ لا صحافة حقيقية عندنا ليها الصديق ولا ارتقاء بل هبوط في كل شيء . فدع عنك وعني هذا المواضيع ...

فقال الدكتور مالك وقد جحظت عيناه

— اذن الا تستطيع ان تجد لك موضوعاً مواتياً ؟

— المواضيع كثيرة يا صاح ولكن لا ادري اتلائم سمعكم وعواطفكم ؟ استطيع ان اتكلم ان شئت في « هل نحن مائتون ام احياء » وفي « السوري كخادم في وطنه وغربته » وفي « الذل السوري » ولا تنسى موضوع « الفقعنة السورية »

هنا اختطف رئيس الجمعية الدكتور مالك قبعته واندفع يعدو هارباً من الغرفة اما الدكتور صابر فقد نظر في اثره مندهشاً وقال

— ما العمل ؟ فلا احد يريد ان يسمع الحق لان الحق يجرح

— زفاف ميمون —

لم تر الجالية السورية في هذه الحاضرة يوماً به تجلت المحبة الصادقة واقتر شتها اكثر من نهار الاحد الواقع في ٣١ ايار اذ تم اكليل حضرة الوجيه الفاضل والتاجر المعتبر الخواجه مسعد الراسي على ذات العفاف والادب الانسة وديعة كريمة حضرة التاجر الخواجه اسعد شاتيلا وكلاهما من راشيا الوادي لما لهما ولذويهما من المحبة والاعتبار عند ابناء الجالية باجمعها وقد اقيم في منزل العريس حفلة حافلة جمعت معظم الجالية وافاضل تجارها فكانوا يرشقون سر ادب العروسين وكانت رشقة الاديب اسكندر افندي سجعان وعدد من ادباء السوريين وشبانهم يضربون على اوتار القلوب حتى شاب مفرق الليل وجاءت غزالة الاحد فذهب اقرباء واصدقاء العروسين المعيدون الى الكنيسة الارثوذكسية حيث احتفل حضرة الاب الفاضل الخوري منزل العريس وهناك رأى الجمهور من كرم آل طنوس وراسي ما اطلق السنة القوم بحمدهم فالبرقاء والبنين . وقد كان في نية بعض الادباء تهنئة العروسين بقصائد عصائية والغاء حال دون ذلك الحشد المحتشد والحفوات المهنئين

مونتريال كندا في ٣ حزيران سنة ٩١٤ ملحم دعاس

المرآة — لدينا رسالة من حضرة المواطن الكريم الخواجا موسى عيسى سويد في الموضوع السابق نفسه فرأينا الاشارة اليها لورودها بعد الرسالة الظاهرة . واننا نشترك مع سائر المهنئين بتهنئة العروسين الكريمين

صعب وروفايل وشركاهم

التجارة الخارجية — نشحن جميع اصناف البضائع الامريكية والاوروبية الى اية جهة كانت في العالم من قماش ومخروطات ومجوهرات وملبوسات وماكولات امريكية وسورية وما كنات وادوات حراثة وزراعة وذلك بضبط وتدقيق وباسعار معتدلة وشروط مرضية

نستقبل من اية جهة كانت محصولات وطنية من قهوة وكاوتشوك وجلود غزال وغيرها ونصرفها على حساب اصحابها باحسن اسعار يمكن الحصول عليها بطريقة مأمونة مقرونة بالامانة الحقيقية بتقاضى عن ذلك عمولة زهيدة اما اذا كانت هذه المحصولات عوضاً عن بضائع فلا نتقاضى شيئاً

كلامنا هذا موجه الى ابناء الوطن الموجودين في امريكا الوسطى والجنوبية عموماً والى الذين في كوبا وبورتوريكو وجزائر الهند الغربية والمكسيك وكولمبيا وفنزويلا والاكوادور وبوليفيا وتشيلي والبرازيل خصوصاً

التجارة الداخلية — نشحن سائر اصناف البضائع المتعارفة بين السوريين من توشن ودراي كودس وبضائع بيضاء وقواطع وملبوسات مخيطة وبدون خياطة ومأكولات سورية وغيرها باسعار في غاية المهاودة حتى ان ابناء الوطن يشرفونا بما يلزم تحقيقاً للامال فنبرون ما يسرهم ويرضيهم ومن اراد مخابرتنا بخصوص الاشغال وشروط المعاملة فالى العنوان ادناه

صعب وروفايل وشركاهم

SAAB, RAPHAEL & CO.

32 Broadway New York City

عندنا الكيمونو الحرير دائماً من الموضة الجديدة . نعطي التفاتاً خصوصياً الى كل موضة تدرج فنشتغلها بحيث يستطيع زبائننا ان يحصلوا على كل شيء رائج في حينه

اسعارنا معروفة لدى الجميع انها متهاودة جداً الخياطة متقنة ونعتني بالطلبيات كل الاعتناء . لا يستطيع اي محل كان ان يرخيك مثلنا . اسعار خصوصية على الكيات الكبرى للتجار

عندنا العقودة الرائجة اليوم رواجاً كبيراً خرزها يسمى (روز بيدس) مركب من زهور الورد له رائحة عطرة من ذات زهر الورد المركب منه . جرب طلبية يتضح لك ربحها جه

بيوض ورزوق

BAYOUTH & RAZOOK

325 BROADWAY

NEW-YORK